ديون براند.. مفارقة الثبات

د.سعد البازعي



تنتمي ديون براند إلى جزيرة ترينيداد الواقعة في البحر الكاريبي، ولكنها واحدة من مثقفي تلك البلاد الذين آثروا العيش بعيداً عن بلادهم. وهؤلاء عددهم كبير وفيهم من حقق شهرة كبيرة في ميدان الكتابة. ولعل أشهرهم في إس نيبول، البريطاني الجنسية الذي فاز بجائزة نوبل عام ٢٠٠١م.

هذا مع أن منطقة الكاريبي أنتجت أيضاً كتّاباً كباراً آخرين منهم الشاعر ديريك والكوت الذي فاز بنوبل عام ١٩٩٢م. ومع أن براند لم تحقق بعد مكانة تقارب مكانة نيبول أو والكوت فإن في أعمالها الشعرية ما يشي بموهبة كبيرة قد تحقق لها الكثير من الشهرة.

ولدت براند في ترينيداد عام ١٩٥٣م وتعيش في كندا منذ ١٩٧٠م، حيث تعمل في التدريس الجامعي بالإضافة إلى نشاطها في الإخراج السينمائي والكتابة. ما يلفت النظر هو التجربة التي عبّرت عنها سواء في نتاجها السينمائي أو الشعري بوصفها من العالم الثالث وتقيم في الغرب.

وقد اخترت في هذه المقالة أن أقدم نصاً شعرياً لها كتب من الزاوية التي تصطدم فيها تجربتها الثقافية والاجتماعية الغربية بما حملته من موطنها الأصلي، ترينيداد. غير أن النص له مبرراته الجمالية أيضاً، كما أرجو أن يتضح.

لقد سبق لي أن استشهدت بالنص الذي أتحدث عنه هنا ضمن مقالة حول شعر الفلسطيني وليد خازندار نشرت في (الجزيرة) قبل سنوات ثم جمعتها ضمن مقالات أخرى حول الشعر في كتاب (أبواب القصيدة) (٢٠٠٥م).

وكان مبرر الاستشهاد بقصيدة براند هو اتفاقها مع قصيدة لخازندار في مسألة ثبات الأشياء دون تغيير وتحويل ذلك إلى قيمة إنسانية وجمالية وشحنه بدلالات مفاجئة للقارئ.

ففي قصيدة براند، كما في قصيدة خازندار، يكتشف الشاعر عند عودته إلى الأماكن التي يألفها أنها لم تتغير على عكس ما يحدث عادة، فتغير الأشياء والناس هو ما نتوقعه من الزمن وهو ما ينسجم مع طبيعة الحياة.

غير أن ذلك لا يحدث، لكن المهم هو أن عدم حدوثه يصير مصدر الإزعاج أو الخيبة، فالتغيير يصير مطلوباً في هذه الحالة، وهو ما يجعل الشاعر في كلتا الحالتين يستثمر ذلك جمالياً لاحداث المفاجأة في نهاية القصيدة.

عنوان قصيدة براند هو (عودة) وتبدأها بمشهد يتكرر طوال القصيدة مع تنويع داخلي يمس التفاصيل، فالتكرار سمة أساسية للنص على المستويين الدلالي العام والجمالي. ما يتكرر هو اكتشاف الشاعرة أن الأشياء لم تتغير:

إذا ما زال الشارع، حيث هو، ما يزال
يذوب تحت الشمس
ما تزال أمواج الحرارة المشعة عند
الواحدة
الرموش المحروقة...

اللعبة الفنية هنا تعتمد على (ما يزال) و(ما تزال)، على هذا الثبات المتلاحق الذي يغمر الأشياء لتتساوى الشمس بالإنسان، ما تصنعه الطبيعة وما يصوغه البشر في عالم لا يعرف التغير أو لا يكاد. غير أن السؤال هنا هو لم يكن الثبات مشكلة؟ هل لأنه يقف ضد تغير مطلوب؟ أم لأنه يقف ضد التغير وكفى؟ الثبات بالطبع مسألة نسبية، والمقصود على كل حال ليس الثبات الكامل فهو مستحيل، وإنما هو الثبات النسبي، أي الثبات الذي لا نريد، أو بطء التغير حين يكون التغير مطلوباً.

فالقصيدة في حقيقة الأمر ليست ضد الثبات بهذا المعنى، وإنما هي ضد بقاء الأشياء على حالها المؤلمة، حالها المنفرة أو حتى المقززة: (ما يزال العرق المتسرب والاندفاق المفاجئ للحرارة يرفعان حرارة القطن والأجساد... ما يزال دم الجزار يلطخ جدران السوق) إلى غير ذلك من صور تجعل الثبات كارثة إنسانية وبيئية.

لكن إذا كان الثبات غير مطلوب فمن أين تأتي القيمة الفنية أو الجمالية إلى النص؟ أين هو المدهش؟ إنها تأتي، كما ذكرت قبل قليل، من أن العائد إلى الأماكن القديمة يبحث عادة عن الثبات وليس التغير، فالمفارقة الجمالية التي يعتمد عليها شعر الأطلال والحنين إلى الأماكن والأزمنة القديمة هو رحيل الأحبة وغياب الثبات عن المكان والزمان.

إنه الفزع من التغير وليس من بقاء الأشياء كما هي، فالبقاء هو المطلوب لو كان ممكناً. وعلى هذا يستغرب القارئ حين يُرى عائداً إلى معاهد طفولته أو شبابه ليعبر عن استيائه لعدم تغير الأشياء. إنه عائد يبحث عن التغيير ويستغرب بل يستنكر عدم حدوثه.

إننا أمام مفارقة التحديث، وسخريات العلاقة بين عالم يتغير أو (يتقدم) وآخر ثابت على ما هو عليه. فصاحب التحديث والمطالب به مستاء بالطبع لعدم حدوثه وعدوه الأول هو بقاء الأشياء وثباتها، وهي المأساة التي تجدها الشاعرة الترينيدادية حين تعود إلى وطنها الأصلي فتجد أن الثبات يجمده، حيث كان، وهي التي تريد لوطنها أن يلحق بركب الحضارة التي وجدتها في كندا وغير كندا من دول العالم الغربي. ومن هنا فهي لا تترك مجالاً لتفسير غير الذي تريد: الثبات شر واقع، ودليله أنه يعني، ضمن أشياء أخرى، استمرار الفقر والذل. ففي نهاية القصيدة يفاجئنا الثبات في أكثر صوره قبحاً ومأساوية:

... ما تزال الأعين
دامعة، وهرمة، ما تزال الرائحة
القاسية، الحادة، للعبودية.

إنها المفارقة التي تعبر عن مأساة تلك الجزر إذ تستعبدها عوامل كثيرة: عجز السكان وفقرهم، من ناحية، وهيمنة السائح الغربي الذي يريد تلك الأماكن كما كانت ليتفرج عليها، من ناحية أخرى.

إنها المأساة التي تعمر قصائد شاعر الكاريبي الكبير ديريد والكوت وغيره من مبدعي تلك المنطقة الذين تنظم إليهم ديون براند.

إعلاميون رواد رحلوا

راحلون قبل إنشاء وزارة الإعلام (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م)

(١-٢)

د. عبدالرحمن الشبيلي



كنت قبل أن أتلقّى الدعوة الكريمة من راعي (ندوة الوفاء) الأستاذ أحمد باجنيد، تلقيت اتصالاً من أحد الأصدقاء، يذكّرني بأحد الإعلاميين الرواد الذين لم يخلد تاريخهم، فآليت على نفسي أن أخصص الحديث في ندوة الوفاء، ليكون تسديداً لبعض حقوق هؤلاء السلف الذين مهّدوا لنا الطريق، وأضاءوا لنا الدرب، وقدموا للمهنة من الصبر والمعاناة الشيء الكثير، حتى وصل الإعلام الوطني بكل فروعه، المقروءة والمسموعة والمرئية، المحلية منها والمهاجرة، إلى ما هو عليه اليوم من مكانة وانتشار.

وأعني بالريادة في هذه المشاركة الدور البارز، وربما غير المسبوق، والعمل الذي بقي تأثيره، على النحو الذي ستوضح هذه المحاضرة مكمنه عند كل شخصية يرد ذكرها.

وطبيعي أن تواجه من يتصدى لبحث جديد في فكرته - كهذا الموضوع - إشكالية تحديد الإطارين الزمني والموضوعي لبحثه، فرأيت أن ينحصر الحديث - زمنياً - في جزئه الأول هذا، في مجموعة الأوائل من الإعلاميين الذين عُرفوا وتُوفوا قبل تحويل مديرية الإذاعة والصحافة والنشر في عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) إلى وزارة، مؤملاً أن أتمكن من إكمال الجزء الثاني في محاضرة قادمة بإذن الله، وهو ما يعني أن كل جزء سيغطي أربعة عقود تقريباً.

إن من المعروف أن البداية الفعلية للإعلام السعودي تؤرخ مع دخول إقليم الحجاز في الدولة السعودية الحاضرة (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م) حينما صدرت الجريدة الرسمية (أم القرى)، غير أن جذور هذه البداية تمتد إلى مطلع القرن الهجري الرابع عشر (١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م) بجلب أول مطبعة إلى الحجاز، وبالتالي فإن العنوان والموضوع يقتضيان أن نشمل نماذج من أسماء الرواد الذين مارسوا المهنة منذ تلك الحقبة، بمن فيهم أولئك الذين احترفوا النشر والطباعة والصحافة خارج حدود هذا الوطن.

أما بالنسبة للإطار الموضوعي الذي وجدت نفسي معه أمام قوائم طويلة من الرواد، فقد آثرت أن أنتقي منهم من لهم - في تقديري - دور متميز في مفهوم الريادة، خاصة وأن من الصعب الإحاطة في مثل هذا الحيّز بكل الأسماء.

وسيلاحظ المطلع على منهج هذه المحاضرة، أن الالتزام بهذين الإطارين، الزمني والموضوعي، قد أخرج مجموعة من أبرز رواد الإعلام الذين يتوقع ذكرهم من أن يشملهم الذكر في هذا الجزء الأول، ذلك أن أسماء مثل محمد صالح نصيف أو حمزة غوث أو عثمان حافظ أو عبدالقدوس الأنصاري قد عُمّروا، - رحمهم الله -، حتى ما بعد تأسيس وزارة الإعلام، وبالتالي فقد أصبحوا محسوبين على الجزء الثاني بإذن الله، وبالإضافة إلى ذلك، يصعب الادعاء بالإحاطة بكل الرواد مهما بلغت قدرة المحاضر وشمولية المحاضرة ودقتها.

ولقد توقفت عند كيفية استعراض تراجم هؤلاء الإعلام، فهل يكون مجملاً أم مفصلاً؟، وهل يكون وفق التسلسل الزمني لتلك الحقبة، أم وفق الموضوع؟ فاخترت، مراعاة للإيجاز أن يأتي الحديث مجملاً، مع تقسيم مجموعات هؤلاء الرواد الراحلين وفق كل بند وموضوع من مباحث هذه المحاضرة التي أتت في ثمانية عناوين هي:

١- رواد الإعلام المهاجر (خارج الحدود).
٢- رواد فنون الطباعة المبكرة.
٣- رواد المكتبات والنشر.
٤- رواد الصحافة العثمانية والهاشمية في الحجاز.
٥- رواد مراقبة المطبوعات (قلم المطبوعات).
٦- رواد الصحافة السعودية (الرسمية والأفراد).
٧- رواد الإعلام الخارجي.
٨- رواد الإذاعة السعودية.

١- رواد الإعلام المهاجر (خارج الحدود):

عرف التاريخ المبكر لإعلام هذه البلاد مجموعة من رواد الصحافة والطباعة والنشر الذين هاجروا مطلع القرن الماضي، إلى مصر وبلاد الشام والعراق وتركيا والهند.

ويأتي في مقدمة هذه القائمة: الصحفي النجدي الشهير *سليمان بن صالح الدّخيل*، وأربعة من أسرة الزهير، وعبداللطيف ثنيان وخالد الفرج ومحمد حسن نمر، كما يمكن احتساب رائد الصحافة الكويتية عبدالعزيز الرشيد (ذي الأصول السعودية) من هؤلاء.

أما الدخيل، فقد عدّه الشيخ حمد الجاسر الأسبق في هذا المجال، وكان أول من لفت الأنظار إليه في مجلة الجامعة (١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م)، ثم صدر عن سيرته أكثر من كتاب ومقال.

وكان قد هاجر من بريدة إلى بغداد، وأسس فيها مطبعة الرياض، وأصدر جريدة (الرياض) التي تزامن صدورها مع ظهور الصحافة التركية في الحجاز (١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م). ثم اشترك مع آخرين في إصدار صحيفتي الحياة وجزيرة العرب.

وأما بالنسبة للصحفيين من أسرة الزهير، فقد اخترت منهم اثنين هما *أحمد (باشا) الزهير*، الذي تولى تحرير الطبعة العربية من جريدة (الدستور) التركية في اسطنبول بتاريخ ٩-٩-١٣٢٦هـ (٤-١٠-١٩٠٨م)، فهو بهذا التاريخ يكون - مع احترامي لرأي الشيخ حمد الجاسر - قد سبق الدخيل في ريادة الصحافة النجدية الصادرة خارج الوطن.

أما الثاني وهو *عبدالله الزهير*، فقد أصدر الطبعة العربية من جريدة (الدستور) البصرية (٢-٢-١٣٣٠هـ - ٢٢-١-١٩١٢م)، وقد قامت هذه الصحيفة في ذي القعدة ١٣٣١هـ (أكتوبر ١٩١٣م) بإجراء - ما أظن - أنها أول مقابلة مع السلطان (الملك) عبد العزيز بعيد دخول الأحساء.

وأما *عبداللطيف ثنيان* الذي يؤكد خيرالدين الزركلي (في كتابه الإعلام) نجديته، ويذكر بعض أفراد أسرته المقيمة حالياً في المنطقة الشرقية أنهم في الأساس من الدرعية، فقد أصدر بتاريخ ٦-١-١٣٢٧هـ (٢٨-١-١٩٠٩م) جريدة (الرقيب) البغدادية، وهو بهذا يأتي زمنياً بعد الزهير وقبل الدخيل أيضا في تاريخ إصدار مطبوعته.

وينظر مؤرخو الصحافة العراقية إليه وإلى صحيفته بأهمية بالغة، وذلك لما اتصفت به من جرأة ومصداقية، وكان قد توفي ببغداد بتاريخ ١٤-٢-١٩٤٤م، بعد حياة حافلة بالمؤلفات التراثية، والتقلّب بالعديد من الأعمال الرسمية.

أما الشخصية الخامسة التي اخترت الحديث عنها في هذه القائمة فإنه الشاعر *خالد الفرج* الذي ولد في الكويت وعاش سنوات في البحرين والهند ثم استقر به المقام في الأحساء ثم القطيف، وقد توفي مستشفيا في لبنان سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) عن عمر يناهز الثامنة والخمسين.

وتكمن ريادة الفرج - إعلامياً - في أنه أسس في أثناء إقامته في الهند (المطبعة العمومية) التي طبع فيها مجموعة من الكتب ذات الصلة بتراث هذه البلاد، كما أسس قبيل وفاته (منتصف السبعينيات الهجرية - الخمسينيات الميلادية) مطبعة، تعد مع مطبعة شركة (الخط) أول مطبعتين في الدمام، هذا عدا إسهامات إذاعية وفكرية أخرى.

أما الأخير، وهو *محمد حسن نمر* (المتوفى أواخر السبعينيات الهجرية - الخمسينيات الميلادية) فإنه من مواليد بلدة العوامية قرب القطيف وأصدر صحيفة أو أكثر في العراق.

أما بالنسبة *لعبدالعزيز الرشيد* وهو صاحب أول مطبوعة صدرت في الكويت، وكان موالياً للمملكة، فقد تحدثت عنه أيضا في المبحث السابع (رواد الإعلام الخارجي) لكونه هاجر إلى إندونيسيا لمساندة جهود الإعلام الخارجي لهذه البلاد، كما تذكر له معاضدته لجهود نخبة من مثقفي الحجاز بقيادة محمد صالح نصيف لاستصدار ترخيص أول صحيفة أهلية سعودية (صوت الحجاز ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م).

.....يتبع

هل نحن ظاهرة صوتية ؟!

د. يوسف بن حسن العارف



بالأمس – فقط – وللتو، بلغت عدد الندوات والمؤتمرات والملتقيات الفكرية والعلمية والتربوية والطلابية والأدبية التي حضرتها وشاركت فيها خمساً وعشرين ندوة وملتقى خلال أسبوعين أو ثلاثة أسابيع!!.

وكل هذه المنتديات والملتقيات حظيت بكلام كثير من أصحاب الكلام، ومداد أكثر من أصحاب الحبر المراق، سواء الحبر التقليدي أو الحبر الإلكتروني، وكلهم من ذوي الوجاهة العلمية والبُعد الفكري والاهتمام الأدبي، كلهم من صفوة القوم وغرة المجتمع.

وبعد كل هذا وتلك تذكرت صاحبنا المفكر الكبير – المرحوم إن شاء الله – عبدالله القصيمي الذي أطلق مقولته الشهيرة (العرب ظاهرة صوتية)!!.

في ذات السياق قرأت كلاماً جميلاً في صحيفة عكاظ ذات يوم من شهر صفر ١٤٢٧هـ بعنوان (العرب ظاهرة كلامية)، وقرأت كذلك في الرياض في نفس الموعد (تقريباً) مقالاً بعنوان (هل نحن ظاهرة صوتية؟!).

فهل صحيح نحن كذلك؟! إن المتأمل في واقعنا العربي – من خلال هذه الندوات والمؤتمرات في بُعدها السياسي أو التربوي أو الفكري أو العلمي وآخرها مؤتمر قمة الخرطوم، وملتقى النص السادس، وندوة الموهبة وملتقى الحاسبات وغيرها، وغيرها – لا يكاد يقبض إلا على الهواء أو ﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾.

كثيراً مَنَ الكلام وأكثر منه التوصيات، وكل ذلك يذهب أدراج الرياح ثم نتنادى إلى مؤتمر ثان وثالث وعاشر.. وهكذا دواليك!!.

إنَّ قليلاً من العمل الدائم، خير من كثير من الكلام الزائل، وإن وقفة صادقة مع النفس نحدد فيها المسار ونعلن فيها الخطط والأهداف، ثم نبدأ العمل الفوري والإنجاز الرشيد، أفضل وأكمل وأشمل!!.. فمن يعلق الجرس يا أصحاب الأقلام والعقول والأفهام حتى لا تستمر حياتنا في ضوضاء صوتية لا نجني منها سوى الصوت في فضاء لا نهائي؟!.

والحمد لله رب العالمين.

إعلاميون رواد رحلوا

راحلون قبل إنشاء وزارة الإعلام (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م)

(٢-٢)

د. عبدالرحمن الشبيلي



٢- روّاد فنون الطباعة المبكرة:

لا تحتفظ بحوث الإعلام السعودي ووثائقه بالكثير من المعلومات عن رواد الطباعة في الحجاز، ثم في نجد والمنطقة الشرقية، وذلك بالرغم من أن الطباعة في مكة المكرمة بدأت مع مطلع القرن الهجري المنصرم، ثم توالى ظهور المطابع تدريجياً في المدينة المنورة وجدة حتى بداية العهد السعودي.

وفي السبعينيات الهجرية (الخمسينيات الميلادية) بدأت المطابع في المنطقتين الشرقية والوسطى، ويشير بحث نشره مؤخراً الدكتور سهيل صابان المتخصص في الوثائق العثمانية إلى أن جعفر إسماعيل البرزخي مفتي الشافعية في المدينة المنورة كان تقدم عام ١٢٩١هـ (١٨٧٤م) بطلب تأسيس مطبعة في المدينة المنورة، وقد يكون طلبه – الذي لم يستجب له في حينه– أحد دوافع جلب أول مطبعة أميرية في الحجاز بمكة المكرمة بعد تسعة أعوام.

ويذكر الدكتور محمد الشامخ في كتابه: نشأة الصحافة في الحجاز أن عبدالغني أفندي كان أول مدير لمطبعة الولاية التي جلبتها الحكومة التركية إلى مكة المكرمة عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م)، ثم خلفه إبراهيم أدهم، ويورد الدكتور الشامخ قائمة بأسماء المصححين والمرتّبين والمدربين والمجلدين وخلافهم، ثم يشير إلى أن محمود عزيز شلهوب قد عين مديراً مؤقتاً للمطبعة عام ١٣٣٠هـ كما يذكر رشدي ملحس أن هاشم النقشبندي كان ممن تولوا إدارتها، وهناك الكثير من رواد هذا المبحث، إلا أن الجزم بإثبات انتمائهم إلى هذا الجزء من المحاضرة يحتاج إلى تأكد.

ثم تورد جريدة (أم القرى) في أعدادها المبكرة أسماء عدد من رواد الطباعة الذين أوفدوا إلى مصر وغيرها، لتعلم فنون الطباعة وحفر الأختام وأمثالها، لكن القليل عن سيرهم متوافر لدينا.

وفي العموم، أن مبحث الطباعة المبكرة، سواء في الحجاز أو نجد أو المنطقة الشرقية بحاجة ماسة إلى من يحققه ويوثق تراجم شخصياته، لكنني أظن أن محمد ماجد الكردي المتوفى عام ١٣٤٩هـ (١٩٣١م) الذي أسس أول مطبعة أهلية في الحجاز (مطبعة الترقي الماجدية) عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) يعد من أبرز رواد الطباعة في تلك الفترة.

ويمكن أن تلحق بفنون الطباعة شخصيات اشتهرت بالتصوير والنسخ والخط، وكان منها: محمد طاهر الكردي الذي خطّ أول مصحف طبع في مكة المكرمة عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م) وصدرت له كتب تعرّف بفنون الخط العربي وتشكيلاته وتاريخه، لكن الحديث عنه يخرج عن الإطار الزمني لهذه المحاضرة، لكونه توفي عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م). وكان الشيخ عبدالغفار أول مصور فوتوغرافي عرف في مكة المكرمة في مطلع القرن الهجري الماضي، وهو جد الدكتور هاشم عبدالغفار، وكيل وزارة الصحة الأسبق.

٣- رواد النشر والمكتبات

بذلت محاولات بحثية حثيثة من قبل متخصصين في النشر والمكتبات، من أمثال د. يحيى الجنيد ود. عباس طاشكندي لتوثيق حركة النشر والمكتبات في البلاد، إلا أن أسماء كثيرين من رواد هذه الحركة ما تزال غائبة إلى حد كبير، وقد أورد كتاب الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي للدكتور الجنيد أسماء عدد كبير من تجار المكتبة من أمثال أحمد عثمان الهندي (المتوفى عام ١٢٧٧هـ – ١٨٦٠م) ومحمد علي الكناني المتوفى عام ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م)، وعبدالله الباز وأبوبكر محمد عارف خوقير، وغيرهم من الناشرين والكتبيين.

٤- رواد الصحافة العثمانية والهاشمية في الحجاز

من المعلوم أن هناك تداخلاً، زمنياً – إدارياً، بين العهدين العثماني (التركي) والهاشمي (الأشراف) في الحجاز، وذلك باستثناء فترة تقارب الثمانية أعوام (١٩١٦ – ١٩٢٤م) استقل فيها الأشراف بحكم مكة المكرمة وجدة والطائف وما جاور تلك المدن.

لقد مارس مهنة الصحافة خلال تلك الحقبة (١٣٢٦ – ١٣٤٣هـ) مجموعة من الرواد الذين انقطع نشاطهم قبل بدء العهد السعودي، ومنهم – حسب ما ذكره د. محمد الشامخ – على سبيل المثال: أبوالثريا سامي، وأحمد جمال أفندي وأحمد حقي ومحمود شلهوب ومحمد توفيق مكي وعبدالله قاسم وراغب مصطفى توكل، وأديب هراري وأحمد رأفت الإسكندراني وإبراهيم خطاب وأبوبكر الداغستاني وحسين الصبان وبدرالدين النعساني وعمر شاكر، إلا أننا لم نقف على معلومات وافية عن سيرهم.

وسيتناول المبحث السادس من هذه المحاضرة روّاد الصحافة السعودية المبكرة سواء بدأوا مع العهدين العثماني والهاشمي (من أمثال محمد الطيب الساسي) أو مع العهد السعودي فقط، أما من عمر حتى ما بعد تأسيس وزارة الإعلام، فإن محل ذكره الجزء الثاني من هذه المحاضرة بإذن الله (ومن بينهم محمد صالح نصيف ومحب الدين الخطيب وحمزة غوث وعبدالسلام عمر وأحمد ملائكة وهاشم زواوي وحسين عرب) كما سبق ذكره.

٥- رواد مراقبة المطبوعات (قلم المطبوعات)

قام على تأسيس هذه المديرية – التي تعد أول نواة للمديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر وتحولت عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) إلى وزارة الإعلام – مجموعة من أبرز رواد الإعلام، ومنهم يوسف ياسين المتوفى سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) الذي كان أيضا أول من رأس تحرير جريدة (أم القرى) عند صدورها (وسيتحدث عنه المبحث التالي)، ونائبه عبدالعزيز العتيقي الذي عددته أول مسؤول من أصل سعودي تسنم منصباً إدارياً في مجال الإعلام، لكن تناول سيرته يخرج عن الإطار الزمني لهذه المحاضرة.

وفيما عدا هذين الاسمين لم يكن هناك أسماء لامعة أو مؤثرة، وكانت المديرية قد أنشئت في مطلع عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)، إلا أنه لا يفوتني عند ذكر هذه المديرية – التي كانت تصدر عنها البلاغات الرسمية عن الشؤون الداخلية والخارجية – اسم جميل داود المسلمي المعاون الأول لوكيل وزارة الخارجية الذي كان قلم المطبوعات يرتبط به، وكان قد توفي في حدود عام ١٣٧١هـ (١٩٥١م).

فلقد كان المسلمي من أوائل خريجي القانون من مصر، وكان ممن درس في بداية حياته في الهند ثم في الجامعة الأمريكية في القاهرة، وقد أصدر مع فؤاد شاكر في حدود عام ١٣٤٩هـ (ديسمبر ١٩٣٠م) كتاباً مشتركاً بعنوان كيف تكون صحفياً؟ وكان فؤاد شاكر في تلك السنة أصدر جريدة باسم الحرم (في القاهرة) لكن ذكره سيرد، بإذن الله في الجزء الثاني من هذه المحاضرة.

٦- رواد الصحافة السعودية (الرسمية والأفراد)

صدرت خلال فترة الأربعين عاماً – من عام ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م، وهو عام صدور أم القرى وحتى عام ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م، وهو عام تأسيس وزارة الإعلام – (٤٥) مطبوعة صحفية بين حكومية وأهلية، لكن معظم روادها عُمّر حتى بعد هذه الفترة.

يذكر من رواد هذا المبحث على سبيل المثال كل من: يوسف ياسين ومحمد سعيد عبدالمقصود (خوجه) ومحمد الطيب الساسي ومحمد حامد الفقي ورشدي صالح ملحس، وقد سبق ذكر الشيخ يوسف ياسين، الذي كان أول رئيس لتحرير جريدة أم القرى وأول مدير للمطبوعات ورئيس للشعبة السياسية واستمر مستشاراً للملك عبدالعزيز ثم الملك سعود، وأما بالنسبة لمحمد سعيد عبدالمقصود (المتوفى عام ١٣٦٠هـ) فإنه – صحفي – تولى رئاسة تحرير الجريدة الرسمية أم القرى مدة خمس سنوات (١٣٥٠ – ١٣٥٥هـ)، وكان يكتب مقالاته في صحف عصره تحت لقب (ابن عبد المقصود (أو (الغربال)، والمعروف أن عبدالله بالخير شاركه تأليف الكتاب المعروف (وحي الصحراء (الصادر عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٥م).

أما بالنسبة لمحمد الطيب الساسي (المتوفى عام ١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م)، فإنه أحد رواد الأدب في المملكة، تولى تحرير جريدة (القبلة) الهاشمية، وفي العهد السعودي ترأس تحرير الجريدة الرسمية (أم القرى) فهو من جيل العهدين.

أما محمد حامد الفقي (المتوفى عام ١٣٧٨هـ – ١٩٥٨م)، فإنه عالم أزهري قدم إلى المملكة معلماً، وعمل مديراً لشعبة الطبع والنشر في مديرية المعارف، وأصدر مجلة (الإصلاح (عام ١٣٤٧هـ – ١٩٢٨م، التي تعد أول مجلة حكومية، واستمرت زهاء عامين، ظهر منها خلالها خمسة وثلاثون عدداً.

وأخيراً، فإن رشدي ملحس هو أديب وجغرافي ومحقق فلسطيني، نال الثقة مستشاراً عند الملك عبدالعزيز، ورأس تحرير جريدة (أم القرى (من عام ١٣٤٧هـ وحتى عام ١٣٤٩هـ وقد نشر فيها أبحاثاً تتعلق بتاريخ الطباعة والنشر في الحجاز.

٧- رواد الإعلام الخارجي

قد يفاجأ الكثيرون بأن نشاطاً مكثفاً للإعلام الخارجي قد تم في عهد الملك عبدالعزيز، وهو ما تناولته في محاضرة ألقيتها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بتاريخ ١٢-١٠-١٤٢٣هـ (١٦-١٢-٢٠٠٢م).

لست بصدد شرح دوافع هذا النشاط، فلقد بسطته في المحاضرة المذكورة، لكنني أذكر من رواده شخصيات مثل المؤرخ الكويتي رائد الصحافة الكويتية عبدالعزيز الرشيد (المتوفى عام ١٣٥٦هـ – ١٩٣٨م)، وأمين الريحاني – لبناني – (المتوفى عام ١٣٥٩هـ – ١٩٤٠م)، والشيخ محمد رشيد رضا – مصري من أصل عراقي – (المتوفى عام ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م)، وأحمد محمد السوركتّي – سوداني – (المتوفى عام ١٣٦٦هـ – ١٩٤٤م)، وعبدالحميد الخطيب – سعودي – (المتوفى عام ١٣٨١هـ – ١٩٦١م)، ثم هناك غيرهم كثيرون، لكن يصعب الاستشهاد بأسمائهم لأنهم أدركوا إنشاء وزارة الإعلام عام ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م)، ومنهم محمود شوقي الأيوبي (الشاعر الكويتي الكردي الأصل)، ويونس بحري، والشيخ إبراهيم المعمر.

لقد أسهم هؤلاء في جهود التعريف بهذه البلاد، ونهجها السياسي، ومقاصد المؤسس الراحل من كفاحه في لمّ شمل هذه (الجزيرة)، وذلك عبر صحف تولوا إصدارها، أو من خلال المحاضرات، أو بواسطة سلسلة من المقالات.

٨- رواد الإذاعة السعودية

بدأت الإذاعة السعودية عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م)، أي قبل أربعة عشر عاماً من تأسيس وزارة الإعلام، شهدت خلالها نخبةٌ من الرّواد الذين أسهموا في نشأتها وتطورها، ومن بين من حضر تلك السنوات وتوفي قبل نشأة وزارة الإعلام، ذكر لي الأستاذ عبدالكريم الخطيب اسم حمزة بصنوي، وكان شغل منصب نائب مدير عام الإذاعة.

مرة أخرى أن كثيراً ممن يتوقع السامع أن تذكر أسماؤهم فيما يخص التاريخ المبكر للإذاعة السعودية من أمثال عبدالله السليمان ومحمد سرور الصبان وهاشم زواوي وإبراهيم فودة وإبراهيم الشورى وعباس غزاوي وحسن حلمي وحسن قرشي وطاهر زمخشري وعبدالله المنيعي وبكر يونس ويحيى كتوعة ومحمد الشعلان، قد أدركوا فترة تأسيس الوزارة، وسينوّه عنهم بإذن الله في الجزء الثاني.

وبعد:

إنما هذه المحاضرة مجرد تمهيد لبحث أعمق وأشمل، يمكن أن يتصدى لآفاق أوسع وتنقيب أدق، وبخاصة في مجال فنون الطباعة، وعالم المكتبات والنشر، بل وفي كل مبحث مما تطرقت إليه.

وفي عالم الإعلام الواسع هناك أطياف لم تذكر لكنها لم تنس، ومن ذلك نشاط التوزيع، وإعلام أرامكو ومديرية الدعاية للحج، والمذيعون الراصدون للأخبار في الديوان الملكي، وهو ما أرجو أن ينال ما يستحق من الذكر عند متابعة تطوير هذه الصفحات.